إمكان تدخل الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) في عصر الغيبة الكبرى؛ تحليل فلسفي، عقدي وتطبيقي

محسن حيدري (الكاتب المسؤول)
أستاذ مساعد، عضو هيأة التدريس، جامعة العلوم الطبية، إيلام، إيران
Heidari.m@medilam.ac.ir
زهرا جمشيدي
أستاذ مساعد، عضو هيأة التدريس، جامعة الثقافة والتعليم فرع ايلام، إيران
Zahrajamshidi@cfu.ac.ir
ساره تقوائي
أستاذ مساعد، عضو هيأة التدريس، جامعة جهرم، جهرم
Sareh-taghvaee@yahoo.com

The Possibility of Imam Mahdi's (aj) Intervention During the Major Occultation: A Philosophical, Doctrinal, and Applied Analysis

Mohsen Heidari (Responsible author)
Assistant Professor, Faculty Member of Ilam University of Medical Sciences, Ilam , Iran
Zahra Jamshidi
Assistant Professor, Faculty Member of Farhangian University, Ilam, Iran
Sareh Taghvaee
Assistant Professor, Faculty Member of Jahrom University, Jahrom, Iran

الملخص:-

تشكّل قضية إغاثة الإمام المهدي (عجل الله فرجه) في عصر الغيبة الكبرى تحديًا فلسفيًا وعقديًا؛ إذ يبدو غيابه الظاهري - للوهلة الأولى - منافياً لفكرة تدخله في شؤون العالم. ومن ناحية أخرى، يموت العديد من أفراد الأمة خلال فترة الغيبة دون أن يحظوا بفرصة الانتفاع بشمس ولايته. فهل يتناسب هذا مع عدل الله تعالى أن يحرم الكثيرون من الانتفاع بالإمام؟ أم أنّ الاستفادة من فيضه تبقى ممكنة حتى في زمن الغيبة الكبرى؟

تعتمد هذه الدراسة على المنهج التحليلي-الوصفي، مستندةً إلى المصادر الكلاسيكية والحديثة في الفلسفة والعقيدة الإسلامية، لتستكشف إمكانية الإمدادات الغيبية من منظور الأنطولوجيا الإمامية، مع استعراض نماذج عملية للفرج الفردي. وتكشف النتائج أن الإمام - بوصفه "العلة الغائية" و"الوسيط الفياضي" في نظام الوجود - يُفيض بركاته على العالم المادي عبر قنوات كأولياء الله والدعاء والتوسل. كما يبرز البحث من خلال تحليل الروايات والشواهد التاريخية تجلياتٍ ملموسة للفرج الشخصي خلال عصر الغيبة.

يقدم هذا البحث ردوداً علمية على الإشكالات العقلية حول عدم إمكانية رصد هذه الإمدادات، ويوضح الحد الفاصل بين الإغاثة الغيبية والمعتقدات الخرافية. وتؤكد الخلاصة أن إغاثة الإمام (عجله الله) لا تتعارض مع الغيبة، بل تُثبت الدور التكويني للإمامة في النظام الكوني.

الكلمات المفتاحية: الإمام المهدي (عجل الله فرجه)، الإمداد الغيبي، الغيبة الكبرى، أنطولوجيا الإمامة، التجارب العرفانية.

Abstract:

The issue of Imam Mahdi's (aj) relief during the era of the Major Occultation presents a philosophical and doctrinal challenge. At first glance, his apparent absence seems incompatible with the idea of his intervention in worldly affairs. On the other hand, many members of the ummah pass away during this period without the opportunity to benefit from the light of his guardianship (wilayah). Does this align with divine justice, whereby countless individuals are deprived of the Imam's grace? Or is it possible to remain connected to his emanations even in the age of occultation?

This study adopts an analytical-descriptive methodology, drawing on classical and contemporary sources in Islamic philosophy and theology, to explore the possibility of metaphysical sustenance (imdād ghaybī) from the perspective of Imāmī ontology. It also examines practical examples of individual deliverance (farj). The findings reveal that the Imam—as the final cause ('illa ghā'iyya) and the mediator of divine effusion (al-wāsita al-fayḍiyya) within the cosmic order—continues to bestow blessings upon the material world through channels such as the awliyā' (divine allies), supplication (du'ā), and intercession (tawassul). Furthermore, by analyzing narrations (riwāyāt) and historical accounts, the research highlights tangible manifestations of personal deliverance during the occultation .

The study provides scholarly responses to rational objections regarding the unobservability of such metaphysical aid and delineates the boundary between occult relief and superstitious beliefs. The conclusion emphasizes that the Imam's (aj) assistance does not contradict the occultation but rather affirms the cosmological role of the Imamate within the universal system .

Keywords: Imam Mahdi (aj), metaphysical sustenance (imdād ghaybī), Major Occultation (al-ghayba al-kubrā), ontology of Imamate, mystical experiences.

المقدمة:

تعد مسألة الإمداد الإمامي للإمام المهدي (عجل الله فرجه) في عصر الغيبة الكبرى من أكثر القضايا إثارة للتحديات في مجال فلسفة الإمامة والكلام الشيعي. يتساءل هذا البحث المركزي: كيف يمكن التوفيق بين غيبة الإمام الطويلة الأمد واستمرارية الإمدادات الغيبية؟ إذ يقتضي العدل الإلهي تمكين جميع أفراد الأمة من الانتفاع بولاية الإمام، سواءً أولئك الذين عاصروا عصر ظهور الأئمة عليهم السلام أو الذين عاشوا في زمن الغيبة. يمكن دراسة هذه الإشكالية من منظورين: أنطولوجي وإبستمولوجي.

من المنظور الأنطولوجي، واستناداً إلى الحكمة المتعالية، يمارس الإمام دوراً تدبيرياً بوصفه "العقل الفعّال" و"رب النوعي" في سلسلة الوجود (صدر الدين الشيرازي، ١٣٨٣هـ.ش، ج٩، ص٢٧٤). هنا يبرز سؤال جوهري: هل يحدّ الغياب الظاهري من التأثير التكويني للإمام؟ أما من المنظور الإبستمولوجي، فإن التحدي يكمن في كيفية إثبات مصاديق الإمدادات الغيبية دون الوصول المباشر إلى الإمام؟

التطور التاريخي للبحث:

يمكن تقسيم المساهمات العلمية في هذا المجال إلى ثلاث مراحل تاريخية:

١. مرحلة المتقدمين (القرن ٤-١٠هـ):

- تناول الشيخ المفيد في كتاب "الإرشاد" مسألة تدبير الإمام خلال الغيبة عبر الوكلاء الخاصين (المفيد، ١٤١٣هـ، ص٣٤٥).
- وأشار السيد المرتضى في "تنزيه الأنبياء" إلى قاعدة اللطف في سياق الغيبة (المرتضى، ١٤٠٥هـ، ص١٢٢).
- قدّم ابن ميثم البحراني في "شرح نهج البلاغة" تحليلاً فلسفياً لدور الإمام في النظام العلّي (البحراني، ١٣٦٢هـ.ش، ج١، ص٥٦).

مع ذلك، ركّزت هذه الأعمال على التبرير الفلسفي للغيبة، مع إهمال نسبي لآليات الإمداد.

٢. مرحلة المتأخرين (القرن ١١-١٤هـ):

- شرح صدر الدين الشيرازي في "شرح أصول الكافي" نظرية الفيض الوجودي للإمام حتى في عصر الغيبة (صدر الدين الشيرازي، ١٣٨٠هـ.ش، ج٤، ص١٢٣).
- جمع العلامة المجلسي في "بحار الأنوار" الروايات المتعلقة بالفرج الفردي (المجلسي، ١٤٠٣هـ، ج٥٢، ص١٢٨).

اتسمت هذه المرحلة بالمنهج الحديثي-العرفاني، مع غياب التحليل الفلسفي المتعمق.

٣. المرحلة المعاصرة (من القرن ١٥هـ فصاعداً):

- فسّر العلامة الطباطبائي في "الميزان" الآيات الإمامية بمنهج فلسفي (الطباطبائي، ١٣٩٣هـ.ش، ج١٥، ص٣٢٧).
- حاول آية الله جوادي آملي في "الإمامة والمهدوية" دمج المنظورين الكلامي والفلسفي لشرح الإمدادات الغيبية (جوادي آملي، ١٣٨٩هـ.ش، ج٢، ص١٤٥).

ومع ذلك، تبقى ثغرات بحثية ملحوظة، أبرزها:

- عدم تقديم نموذج منهجي لربط أنطولوجيا الإمامة بمصاديق الفرج.
- ضعف الاهتمام بتحليل التجارب الشخصية بمعايير عقلانية.

إسهامات البحث الحالي

يتميز هذا البحث بثلاثة إضافات علمية:

- التركيب بين الحكمة الصدرائية والروايات المهدوية، باستخدام نظرية "تشكيك الوجود" لشرح مستويات الإمداد.
- وضع معايير عقلانية لتمييز مصاديق الفرج، وتحديد ضوابط تفصل بين الإمداد الغيبي والتوهمات الذاتية.
- التحليل المقارن مع فلسفة الدين المعاصرة، ومقارنة النظرية مع نموذج "التجربة الدينية" لألفين بلانتينغا في المسيحية (Plantinga, 2000, p.45).

الأسُس النظرية والمفاهيمية:

تحليل أنطولوجي للإمامة والإمداد في عصر الغيبة

١. الأسس الفلسفية للإمامة في الحكمة المتعالية

يقدم النظام الفلسفي لصدر الدين الشيرازي إطاراً شاملاً لفهم دور الإمام في الوجود من خلال نظريتي "وحدة الوجود" و"التشكيك في مراتب الوجود". فالإمام - وفق هذا المنظور - يتجلى كـ"العقل الفعّال" و"مظهر الاسم الجامع لله"، وسيطًا للفيض بين الحق تعالى وعالم المادة (صدر الدين الشيرازي، ١٣٨٣هـ.ش، ج٩، ص٢٧٨). هذا الدور التكويني يجعل وجود الإمام شرطًا لاستمرار النظام الكوني حتى في حال الغيبة، كما تؤكد الروايات المتواترة: "لَوْ لَا الْحُجَّةُ لَسَاخَتِ الْأَرْضُ" (المجلسي، ١٤٠٣هـ، ج٢٣، ص٣٠).

تؤيد نظريتا "الفيض الأقدس" و"الفيض المقدس" في الحكمة الصدرائية أن الإمام لا يقتصر دوره على كونه "علّة فاعلية"، بل يتعداه إلى كونه "علّة غائية" في هداية الموجودات. فغيابه لا يعني انقطاع الصلة الوجودية، بل تحوّلًا في كيفية تجلّي هذه العلاقة (جوادي الآملي، ١٣٨٩هـ.ش، ج٢، ص١٥٦). يتوافق هذا التحليل مع رؤية ابن عربي في "فصوص الحكم" حول "الإنسان الكامل" كخليفة إلهي (ابن عربي، ١٤٢٢هـ، الفص المحمدي، ص١٢٣).

٢. قاعدة اللطف واستمرارية الإمدادات الغيبية

تشكّل "قاعدة اللطف" في الكلام الشيعي دليلًا عقليًا على ضرورة الإمامة، حيث يتطلب اللطف الإلهي حضور الإمام بشكل يمكّن الناس من هدايته (المفيد، ١٤١٣هـ، ص٧٨). لكن كيف يتحقق هذا اللطف في عصر الغيبة؟

الجواب يكمن في أن اللطف يتجلى عبر "إمدادات غير مباشرة" تتمثل في ثلاث قنوات رئيسية:

أ. التأثير الوجودي المباشر: كالشمس التي تشرق من وراء السحاب (تمثيل روائي شائع)، حيث يظل للإمام تأثير غير محسوس على قلوب المؤمنين (الكُليني، ١٤٠٧هـ، ج١، ص٣٤٣).

ب. الوسائط المعنوية: كالأولياء والعلماء والأماكن المقدسة التي تعمل قنوات للفيض (الطباطبائي، ١٣٩٣هـ.ش، ج١٥، ص٣٣٥).

ج. الدعاء والتوسل: كشكل من أشكال الاتصال الوجودي بالإمام (المجلسي، ١٤٠٣هـ، ج٩٤، ص٤٥).

٣. العلاقة بين الغيبة والإمداد من المنظور الإبستمولوجي

يتمحور التحدي المعرفي حول إمكانية إدراك الإمدادات الغيبية. وفقًا لنظرية "العلم الحضوري" في الفلسفة الإسلامية، يمكن إدراك التأثيرات الوجودية للإمام عبر الكشف الباطني حتى دون إدراك حسي (صدر الدين الشيرازي، ١٣٨٠هـ.ش، ج٣، ص٢١٥).

ويستند هذا إلى نوعين من الأدلة:

١. الشواهد التاريخية: كالحوادث المسجلة في المصادر الموثوقة (النعماني، ١٤٢٢هـ، الغيبة، ص٢٤٥).
٢. التجارب الشخصية: بشرط تقييمها بمعايير عقلانية وشرعية (جوادي الآملي، ١٣٨٩هـ.ش، ج٣، ص٢٠١).

٤.التمييز المفاهيمي بين الفرج الفردي والعام

ينبغي التفرقة بين "الفرج الفردي" (حل مشاكل المؤمنين الشخصية) و"الفرج العام" (الظهور النهائي). وينقسم الفرج الفردي إلى نوعين: إمدادات مادية: كتيسير المعيشة أو الشفاء من الأمراض؛ و إمدادات معنوية: كالإلهامات القلبية أو حل المعضلات العلمية (المجلسي، ١٤٠٣هـ، ج٥٢، ص١٢٨).

والنقطة المحورية أن هذه الإمدادات لا تنقض قوانين الطبيعة، بل تعمل كـ"علل خفية" ضمن النظام السببي للكون (الطباطبائي، ١٣٩٣هـ.ش، ج١، ص١٠٥).

دراسة إمكانية الإمداد الإمامي للإمام المهدي(عج) في عصر الغيبة الكبرى: تحليل الآليات والمصاديق في دراسة إمكانية الإمداد الإمامي للإمام المهدي(عج) خلال عصر الغيبة الكبرى، لا بد من الإجابة عن السؤال الجوهري: كيف يمكن التوفيق بين الغيبة

الظاهرية للإمام وتأثيراته التكوينية والتشريعية؟ يمكن تحليل هذه الإشكالية من ثلاثة مناظير: فلسفية، كلامية، وتجريبية.

١. الأسس الفلسفية لإمكانية الإمداد

١.١. نظرية الفيض الوجودي في الحكمة المتعالية

يُبنى النظام الوجودي في الحكمة المتعالية لصدر الدين الشيرازي على سلسلة مراتب الفيض وتشأنات الوجود. يؤكد صدر المتألهين أن الإمام بوصفه "العقل الفعال" للعالم يلعب دور الوسيط في فيض العطاء الإلهي (صدر الدين الشيرازي، ١٣٨٣ش، ج٩، ص١٤٢). هذه النظرية تمتد جذورها إلى آراء ابن سينا حول العقل الفعال التي قام ملاصدرا بتطويرها.

يتجلى الفيض الوجودي للإمام على مستويين:

أ) الفيض المستمر: يشمل هذا النوع الهداية العامة لجميع الموجودات، وهو فيض دائم. بالتعبير الفلسفي، يمثل هذا "الفيض الأقدس" الذي يحفظ استمرارية النظام الوجودي (الطباطبائي، ١٣٧٨ش، ص٢٣٥).

ب) الفيض الموقفي: هذا الفيض الخاص الذي يُعبّر عنه بـ"الفيض المقدس" يظهر في ظروف خاصة ولأفراد معينين. يوضح العلامة حسن زاده آملي: "يمتلك الإمام كإنسان كامل القابلية لتلقي وإعطاء الفيوضات الإلهية الخاصة" (حسن زاده آملي، ١٣٨٥ش، ص١٨٧).

٢.١. نظرية الحركة الجوهرية

تشكل نظرية الحركة الجوهرية كإحدى أهم إبداعات ملاصدرا إطاراً فلسفياً مناسباً لشرح كيفية التأثير التدريجي للإمام في العالم. وفقاً لهذه النظرية:

أولاً: تأثير الإمام في النفوس البشرية يتم تدريجياً وفق الاستعدادات الوجودية للأفراد، مما قد يؤدي إلى تحولات باطنية وصعود الإنسان إلى مراتب وجودية أعلى (جوادي آملي، ١٣٨٩ش، ج٣، ص٣٢٤).

ثانياً: على مستوى العالم المادي، تظهر هذه التأثيرات من خلال التغيير في سلسلة العلل

والمعلولات الطبيعية. فلسفياً، يمكن للإمام التدخل كـ"علة مبقية" في النظام السببي للعالم (مصباح يزدي، ١٣٧٨ش، ص١٥٦).

ثالثاً: بالنسبة للأولياء والأفراد الخاصين، تتجلى هذه التأثيرات في شكل هدايات خاصة وإمدادات غيبية. يشير الشهيد مطهري إلى أن "الارتباط المعنوي بالإمام يمهد لتلقي الفيوضات الخاصة" (مطهري، ١٣٧٧ش، ج٤، ص٨٧).

٢. آليات الإمداد الإمامي

١.٢. الإمدادات المباشرة

رغم الغياب الظاهري للإمام المهدي(عج) في عصر الغيبة الكبرى، إلا أن الروايات والتجارب العرفانية تؤكد إمكانية التواصل الخاص معه بعدة طرق:

أ) الرؤى الصادقة: تسجل المصادر الروائية الشيعية حالات عديدة من التواصل عبر الرؤيا، كما ذكر الشيخ الطوسي في كتاب "الغيبة" (الطوسي، ١٣٩٨ق، ص٣٢٤).

ب) المكاشفات العرفانية: ذكر بعض العرفاء الكبار مثل السيد علي القاضي والعلامة الطباطبائي تجاربهم في هذا المجال (حسن زاده آملي، ١٣٨٢ش، ص٤٥).

ج) اللقاءات الخاصة: في ظروف استثنائية ولأفراد مخصوصين، قد يتحقق اللقاء الحضوري، كما سجل كتاب "منتخب الأثر" حالات تاريخية عديدة (صافي گلپايگاني، ١٤١٩ق، ج٣، ص٢٤٥).

٢.٢. الإمدادات غير المباشرة

تتم هذه الإمدادات عبر وسائط متعددة أهمها:

أ) العلماء والفقهاء الربانيون: عن الإمام الصادق عليه السلام: "فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله" (الحر العاملي، ١٤٠٩ق، ج٢٧، ص١٤٠).

ب) الأماكن المقدسة: مثل مسجد جمكران المعروف كأحد مراكز التواصل مع الإمام المهدي(عج).

ج) الأدعية والزيارات المأثورة: كدعاء العهد وزيارة آل ياسين الواردة في المصادر الشيعية المعتبرة.

د) التوسل بأهل البيت عليهم السلام: الذي يعد أحد أهم طرق تلقي فيوضات الإمام المهدي.

٣. المصاديق التاريخية والمعاصرة

١.٣. نماذج تاريخية

تذكر المصادر الشيعية المعتبرة حالات عديدة من الإمدادات الغيبية:

أ) الشيخ الأنصاري: يسجل كتاب "حياة الشيخ الأنصاري" كيف نجا من أخطار ببركة التوسل بالإمام المهدي(عج) (الحسيني الطهراني، ١٤١٨ق، ج٢، ص٨٧).

ب) العلامة المجلسي: يذكر في مقدمة "بحار الأنوار" كيف استفاد من الإمدادات الغيبية في حل بعض المعضلات العلمية (المجلسي، ١٤٠٣ق، ج١، المقدمة).

ج) السيد بحر العلوم: يشير كتاب "روضات الجنات" إلى المساعدات الغيبية التي تلقاها في أسفاره العلمية (الخوانساري، ١٣٩٠ق، ج٢، ص١٥٦).

٣. ٢. نماذج معاصرة

سُجلت في العصر الحديث حالات موثقة منها:

أ) شفاء المرضى: يذكر كتاب "طلوع النور" حالات عديدة لشفاء أمراض مستعصية ببركة الإمام المهدي (المظاهري، ١٣٨٧ش، ص٦٥).

ب) تيسير الأمور المعيشية: تذكر مذكرات بعض المراجع تقليد حالات من هذا النوع.

ج) حل المشكلات العلمية: أشار بعض الباحثين المعاصرين إلى تجاربهم الشخصية في هذا المجال.

الشبهات والإجابات:ـ

١. شبهة عدم إمكانية التأثير الغيبي والرد عليها

تُطرح شبهة حول التأثير الغيبي للإمام مفادها: كيف يمكن لشخص غير حاضر حضوراً

ماديًا في العالم أن يؤثر في شؤونه؟ يجيب العلامة الطباطبائي مستندًا إلى الحكمة المتعالية ومباني علم النفس الفلسفي بأن النفس الإنسانية - بوصفها جوهرًا مجردًا - قادرة على التأثير في الجسد المادي، كما أن إرادة الإنسان تستطيع التحكم في حركة اليد أو القدم. وبما أن الإمام - وفق الرؤية الشيعية - يحتل مقام "النفس الكلية"، فإنه يستطيع التأثير في العالم بأكمله، لأن نسبته إلى العالم كنسبة النفس الإنسانية إلى الجسد.

يؤكد العلامة في الميزان:

"النفس الإنسانية وإن كانت محدودة جسديًا، إلا أنها بحكم تجردها قادرة على التأثير في المادة. فكيف لا تستطيع نفس العالم الكلية - وهي الإمام - أن تؤثر في نظام الوجود؟" (الطباطبائي، ١٣٩٠ق، ج١٥، ص٣٢٧).

هذا الرأي يتوافق مع أصول فلسفة صدر الدين الشيرازي حول "اتحاد العاقل والمعقول" و"القوة المتخيلة"، إذ تستطيع النفس في مستويات الكمال العليا أن تؤثر في العالم دون وسائط مادية (صدر الدين الشيرازي، ١٣٨٣ش، ج٨، ص١٥٦).

٢. شبهة عدم إمكانية معرفة الإمدادات الغيبية والرد عليها

تُثار إشكالية أخرى: إذا كان الإمام يؤثر في العالم بشكل غيبي، فكيف يمكن التعرف على هذه التأثيرات؟ الجواب يتمثل في طريقين رئيسيين:

أ) الطريق العقلي: تحليل النظام السببي للعالم

وفقًا للحكمة الإسلامية، لا ينحصر نظام الوجود بأسباب مادية فقط، بل هناك سلسلة من العلل الغيبية. ومن خلال التحليل الفلسفي يمكن استنتاج أن بعض الأحداث تقع دون سبب ظاهر، ولا يمكن تفسيرها إلا باللجوء إلى علل ماورائية. يشير ابن سينا في "الشفاء" إلى أن بعض تدابير العالم تتم بشكل غير مباشر عبر العقول المجردة (ابن سينا، ١٤٠٤ق، ج٢، ص٤٥٢).

ب) الطريق النقلي: الروايات المعتبرة

تذكر المصادر الحديثية الشيعية حالات عديدة من التأثيرات الغيبية للأئمة. ففي الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام: "نحن [الأئمة] إذا أردنا أن نعلم بأحوال شيعتنا علمنا" (الكُليني،

١٤٠٧ق، ج١، ص٢٥٦). كما توجد في بحار الأنوار روايات تثبت أن الأئمة يسرعون لنجدة المؤمنين في اللحظات الحرجة (المجلسي، ١٤٠٣ق، ج٥٢، ص١٥٨).

وبالتالي، يمكن من خلال البراهين الفلسفية والاستناد إلى النصوص الدينية الموثوقة إثبات وجود الإمدادات الغيبية للإمام وكيفية عملها.

شروط الاستفادة من الإمدادات الغيبية:

بناءً على الروايات والتجارب المثبتة، فإن أهم شروط الاستفادة من هذه الإمدادات هي:

- الإيمان الصادق بالإمامة
- العمل الصالح وترك المعاصي
- الدعاء والتوسل المستمر
- انتظار الفرج الحقيقي
- الارتباط المعنوي بالإمام

وعليه، بالنظر إلى الأسس الفلسفية والشواهد التاريخية والتجارب المعاصرة، فإن إمكانية إمداد الإمام المهدي (عج) في عصر الغيبة قابلة للإثبات بوضوح. هذه الإمدادات تشمل الهدايات العامة كما تظهر في حالات خاصة بشكل فردي. ومن الجدير بالذكر أن الاستفادة من هذه الإمدادات تتطلب شروطًا خاصة، أهمها الإيمان والعمل الصالح وانتظار الفرج الحقيقي.

نقد ودراسة الشبهات المتعلقة بإمدادات الإمام المهدي(عج) في عصر الغيبة الكبرى

لطالما واجهت مسألة الإمدادات الغيبية للإمام المهدي(عج) العديد من الشبهات والتساؤلات. تنشأ هذه الشبهات أساسًا من ثلاث زوايا: فلسفية، وكلامية، وتجريبية. في هذا القسم، سنتناول أهم هذه الشبهات مع الردود العلمية عليها.

١. الشبهات الفلسفية حول إمدادات الإمام المهدي(عج) في عصر الغيبة الكبرى.

أ. شبهة التعارض مع النظام السببي للعالم

يدعي بعض النقاد، بالاستناد إلى المبادئ الفلسفية للرؤية الكونية الحديثة، أن هناك تعارضًا بين "الإمدادات الغيبية" و"النظام السببي المنتظم للعالم". من وجهة نظرهم، حدوث ظواهر خارج إطار الأسباب الطبيعية والتجريبية يعني نقض مبدأ السببية وإحداث فوضى في نظام الكون (Hume, 1748, 54).

للرد على هذه الشبهة، لا بد من الرجوع إلى أسس الفلسفة الإسلامية، خاصة رؤية الحكمة المتعالية. وفقًا لهذا النظام الفكري، فإن الأسباب والعلل لها مراتب طولية وتشكيكية، بعضها محسوس للإنسان وبعضها غير محسوس (صدر الدين الشيرازي، ١٣٨٣، ج٣، ٢١٥). الإمدادات الغيبية لا تنقض النظام السببي، بل تعمل في إطار السببية الإلهية كحلقة غير مرئية من سلسلة الأسباب.

إضافة إلى ذلك، وفقًا لنظرية "العلم عند الله" في الفلسفة الإسلامية، تظل العديد من العلاقات السببية مجهولة للبشر، وهذا لا يعني بأي حال نفي مبدأ السببية (الطباطبائي، ١٣٩٠، ١٨٧). بكلمات أخرى، لا ينبغي أن تكون محدودية الإدراك البشري أساسًا لإنكار الحقائق الغيبية.

ب. شبهة استحالة التأثير من قبل غائب

تقوم هذه الشبهة على السؤال التالي: كيف يمكن لكائن غائب عن الحس أن يؤثر في العالم المادي؟ في نقد هذه الرؤية، يمكن الإشارة إلى عدة نقاط رئيسية:

١) التمييز بين الغيبة الفيزيائية والغيبة الوجودية

في الفلسفة الإسلامية، الغيبة تعني عدم الحضور المادي، وليس العدم الوجودي. على سبيل المثال، نفس الإنسان وإن لم تُرَ ماديًا، إلا أن تأثيرها في الجسم واضح (الملا صدرا، ١٣٨٠، ج٨، ٣٢٢). بالمثل، الإمام المهدي(عج) وإن كان في غيبة، إلا أن حضوره الوجودي وتأثيره في العالم محفوظ.

٢) عدم حصر التأثير بالحضور المادي

وفقًا لأسس الحكمة المتعالية، لا يقتصر التأثير الوجودي على الكائنات المادية، بل يمكن للموجودات غير المادية أيضًا أن تؤثر في عالم الطبيعة (الجوادي الآملي، ١٣٩٥،

٢٤٥). بعبارة أخرى، الحضور المادي ليس شرطًا ضروريًا للتأثير، كما هو موضح في مباحث عالم المثال والنفس الناطقة (ابن سينا، ١٣٧٥، ١٢٣).

ج) التجارب التاريخية والشهودية

هناك العديد من الشواهد التاريخية، بما في ذلك الكرامات والتأثيرات الغيبية الموثقة خلال عصر الغيبة، التي تؤكد تأثر العالم بالإمام الغائب (الطبرسي، ١٤١٧، ج٢، ٤٨٥). هذه الحالات، وإن لم تكن قابلة للقياس تجريبيًا، إلا أنها تعتبر قرائن موضوعية تستحق التأمل.

فنقول تنشأ الشبهات الفلسفية حول إمدادات الإمام المهدي(عج) أساسًا من النظرة الضيقة للسببية والغفلة عن مراتب الوجود. بالاعتماد على أسس الفلسفة الإسلامية، خاصة نظرية التشكيك في الوجود والسببية الطولية، يمكن الرد على هذه الشبهات بشكل منهجي.

٢. الشبهات الكلامية حول إمدادات الإمام المهدي(عج) في عصر الغيبة الكبرى.

أ. شبهة نقض غرض الغيبة

من أهم التساؤلات الكلامية في هذا المجال: إذا كان الإمام(عج) يقدم الإمدادات أثناء الغيبة، فهل يتعارض ذلك مع فلسفة الغيبة؟ بمعنى آخر، إذا كان بمقدوره التدخل في الأمور، فلماذا لا يظهر علانية؟

الرد التفصيلي:

١. التمييز بين الغيبة الظاهرية وانقطاع العلاقة الوجودية

- الغيبة تعني عدم الحضور المادي الظاهر للإمام، وليس انقطاع الصلة الوجودية والولائية مع العالم. تؤكد العديد من الروايات أن الإمام(عج) مثل الشمس خلف السحاب، فمع عدم رؤيته إلا أن نوره وحرارته يصلان إلى العالم (المجلسي، ١٤٠٣ق، ج٥٢، ص١٥٨).

- وفق الأسس الكلامية، ولاية الإمام التكوينية لا تتوقف على الحضور المادي، بل إنه حتى في الغيبة يبقى مديراً لنظام الوجود (الجوادي الآملي، ١٣٨٥، ص٢٣٤).

٢. الإمدادات الغيبية محدودة وغير مباشرة

- إمدادات الإمام(عج) في عصر الغيبة تكون عادة لأفراد محددين وفي ظروف استثنائية (كحالات الاضطرار أو الإخلاص التام أو المصالح الإلهية)، وليست عامة وشاملة (الصدوق، ١٣٩٥ق، ص٤٨٢).
- هذا لا يتعارض مع حكمة الغيبة (مثل اختبار العباد وحماية الإمام من المخاطر)، لأن الإمدادات الغيبية تتم سراً وفي إطار الأسباب الخفية.

ب. شبهة استحالة تمييز الإمدادات الغيبية

يطرح البعض تساؤلاً: كيف يمكن التمييز بين الإمداد الحقيقي للإمام(عج) والأحداث العادية أو الأوهام الشخصية؟ هل هناك معيار موضوعي للتمييز بين هذه الحالات؟

الرد التفصيلي:

١. وجود قرائن قطعية في الروايات

- بعض الإمدادات الغيبية وردت في الروايات بعلامات خاصة، مثل تحقق الوعود الإلهية في الأزمات أو ظهور إشارات خاصة لأولياء الله (الطوسي، ١٤١١ق، ص٢٩٠).
- وفق الروايات، الأفراد الذين لديهم توسل وارتباط معنوي أقوى يكونون أكثر حصولاً على هذه الإمدادات (الكُليني، ١٤٠٧ق، ج١، ص٣٣٦).

٢. القابلية للتكرار في التجارب الموثوقة

- سُجلت حالات عديدة من الكرامات والإمدادات الغيبية عبر التاريخ من قبل أشخاص موثوقين (كالعلماء والزهاد والمؤمنين الصادقين) تظهر تشابهاً في البنية (ابن طاووس، ١٤١٦ق، ص١٥٤).
- هذا التكرار يقلل من احتمال كونها أحداثاً عشوائية أو أوهاماً.

٣. التوافق مع الضوابط الشرعية والعقلية

- أي ادعاء حول الإمداد الغيبي يجب أن يتوافق مع المعايير الدينية (كعدم مخالفة القرآن والسنة) والعقلية (كعدم التناقض مع قوانين الطبيعة بشكل معجزي) (المطهري، ١٣٧٨، ص٢٠٣).
- من المنظور الإسلامي، الأمور الخارقة إذا كانت حقيقية يجب أن يكون لها هدف إلهي، وليس مجرد لفت الانتباه أو طلب الامتيازات (الطباطبائي، ١٣٩٠، ص٣٢١).

فنقول الشبهات الكلامية حول الإمدادات الغيبية للإمام المهدي(عج) تنشأ أساساً من الفهم الخاطئ للغيبة وعدم إدراك مراتب ولاية الإمام. بالاستناد إلى المصادر الروائية والتحليلات الكلامية، يمكن إثبات أن الإمدادات الغيبية لا تتعارض مع فلسفة الغيبة، بل تؤكد استمرار الهداية الإلهية حتى في عصر الغيبة.

٣. الشبهات التجريبية والتاريخية حول الإمدادات الغيبية للإمام المهدي(عج)

١/٣. شبهة عدم وجود شواهد عينية

يدعي أصحاب هذه الشبهة أن الإمدادات الغيبية تفتقر إلى أدلة تجريبية وتاريخية موثوقة. ويمكن الرد على هذه الشبهة من خلال صنفين من الأدلة:

أ) الشواهد التاريخية

١. الوثائق المكتوبة في المصادر المعتبرة

- كتب التاريخ الشيعية مثل "كشف الغمة" للأربلي (ج٢، ص٤٦٨) و"بحار الأنوار" للمجلسي (ج٥٢، ص١٥٦-٢٠٠) تذكر تفصيلاً حالات متعددة من الإمدادات الغيبية.
- مؤرخون مثل ابن خلكان في "وفيات الأعيان" (ج٤، ص١٧٥) وسبط ابن الجوزي في "تذكرة الخواص" (ص٢٠٣) أشاروا إلى أحداث تاريخية محددة.

٢. التجارب الشخصية للعلماء الكبار

- الشيخ الأنصاري في رسالته "الفوائد" (ص١٢٣) يشير إلى مشاهداته الشخصية للكرامات.
- العلامة المجلسي في "بحار الأنوار" (ج٥٢، ص١٨٩) ينقل ذكريات عن أستاذه الملا محسن الفيض الكاشاني.

ب) الشواهد المعاصرة

١. التقارير الموثقة

- أبحاث مراكز مثل "المعهد العلمي للبحوث المهدوية" (١٣٩٨، ج٣، ص٤٥-٧٨) التي جمعت وحللت الحالات المبلغ عنها.
- مقابلات علمية مع شخصيات موثوقة مثل آية الله بهجت (موقع مكتب آية الله بهجت، ١٣٨٥).

٢. الأبحاث الميدانية

- الدراسات الأكاديمية مثل بحث الدكتور محمدي في "المجلة العلمية للدراسات المهدوية" (١٤٠٠، ع١٥، ص٢٣-٥٦) الذي قدم تحليلاً إحصائياً لهذه الظاهرة.
- دراسات متعددة التخصصات في مراكز علمية مثل "مركز بحوث العلوم الإنسانية" (تقرير ١٤٠١، رمز ٢٤٥).

٢/٣. شبهة التشابه مع ادعاءات الأديان الأخرى

يستدل البعض بأن الادعاءات المشابهة في الأديان الأخرى تضعف مصداقية هذه القضايا. والردود التفصيلية على هذه الشبهة هي:

أ) نقد أصل الشبهة:

١. مغالطة التعميم الخاطئ

- وجود تقارير مشابهة في أديان أخرى ليس بذاته دليلاً على نفي جميع الحالات (Smith, 2005, p.87).
- هذا الاستدلال يعد مثالاً على مغالطة "الاستناد إلى الأغلبية" (Hacky, 2010, p.132).

ب) الفروق الجوهرية

١. الاختلاف في الأسس المعرفية

- نظام تقييم المعجزات في الإسلام يقوم على القرآن والعترة (الطباطبائي، الميزان، ج١، ص١٩٨).
- بخلاف بعض الأديان، يقدم الإسلام معايير دقيقة للتمييز بين الحق والباطل (المطهري، مجموعة الآثار، ج٤، ص٢٥٦).

٢. الاختلاف في النتائج والوظائف

- الإمدادات الغيبية في الإسلام هادفة وتصب في مسار هداية البشر (الجوادي الآملي، المهدي الموعود، ص١٨٩).
- بخلاف بعض المذاهب، هذه الحالات في الإسلام ليست شخصانية (نصر، ٢٠١٥، ص٧٦).

ج) معايير التمييز في الإسلام

١. الضوابط الثلاثية

- المطابقة مع القرآن والسنة (الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٦، ص٢٣٤)
- عدم التناقض مع العقل السليم (مصباح اليزدي، تعليم العقائد، ص٣٠٢)
- الانسجام مع سيرة الأئمة المعصومين (الكُليني، الكافي، ج١، ص٦٧)

فنقول الشبهات التجريبية والتاريخية حول الإمدادات الغيبية تنشأ أساساً من الجهل بالوثائق التاريخية أو الخلط بينها وبين القضايا المشابهة في الأديان الأخرى. من خلال تقديم وثائق تاريخية موثوقة وأبحاث علمية حديثة من جهة، وبيان الفروق المعرفية من جهة أخرى، يمكن الرد على هذه الشبهات.

٤. الردود الشاملة على الشبهات

١/٤. الرد الفلسفي-الكلامي

١. توضيح مراتب العلل والأسباب

- في النظام الفلسفي الإسلامي، تعمل العلل والأسباب بشكل هرمي ومتدرج (صدر الدين الشيرازي، الحكمة المتعالية، ج٣، ص٢١٥).
- الإمدادات الغيبية يمكن تفسيرها في إطار السببية الطولية كجزء من نظام الأسباب الإلهية (الطباطبائي، نهاية الحكمة، ص١٨٩).

٢. التمييز بين الغيبة الظاهرية والحضور الباطني

- غيبة الإمام(عج) لا تعني عدم التأثير، بل تعني حضوراً غير محسوس (المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٢، ص١٥٨).
- مثل تأثير النفس على الجسد دون ملاحظة مادية (الملا صدرا، الأسفار، ج٨، ص٣٢٢).

٣. تحليل نظرية "الفيض" في نظام الوجود

- وفقاً لنظرية الفيض، تستمر الهداية والإمداد الإلهي عبر قنوات خاصة (ابن سينا، الشفاء، ص١٢٣).
- الإمام(عج) كخليفة الله هو وسيط الفيض الإلهي (الجوادي الآملي، ولاية الفقيه، ص١٤٥).

٢/٤. الرد النقلي-الروائي

١. الاستناد إلى آيات القرآن

- ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ (الطلاق: ٢) تظهر وعد الله بالإمداد الغيبي.
- آيات مثل ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ (محمد: ٧) تدل على نظام الإمداد الإلهي.

٢. الروايات المعتبرة

- رواية "مَنْ ذَكَرَنِي فِي مَكْرُوبٍ كَشَفْتُهُ" (الطوسي، الغيبة، ص٢٩٠) تدل على الإمدادات الغيبية.

- تؤكد روايات عديدة استجابة الدعاء في عصر الغيبة (الكُليني، الكافي، ج٢، ص٤٨٢).

٤/ ٣. الرد التجريبي-العلمي

١. دراسة الحالات الموثقة تاريخياً

- توثيق أكثر من ٢٠٠ حالة إمداد غيبي في كتب تاريخية معتبرة (الأربلي، كشف الغمة، ج٢، ص٤٦٨).
- أبحاث ميدانية في مراكز علمية مثل "مركز أبحاث المهدوية" (تقرير ١٤٠١، ص٥٦).

٢. التحليل النفسي والاجتماعي

- تظهر الدراسات أن التجارب الروحية لها أنماط متشابهة وقابلة للتكرار (يونغ، ١٩٦١، ص٨٧).
- تؤكد الأبحاث الاجتماعية تأثير المعتقدات المهدوية في تعزيز الصمود المجتمعي (دوركايم، ١٩١٢، ص١٤٥).

٥. معايير تمييز الإمدادات الحقيقية

لتفريق الإمدادات الحقيقية عن غيرها، يمكن ذكر هذه المعايير:

١. المطابقة مع الضوابط الشرعية: عدم مخالفة الأحكام الشرعية القطعية (الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٦، ص٢٣٤).

٢. الآثار التربوية المستدامة: إحداث تحول إيجابي ودائم في الفرد (المطهري، مجموعة الآثار، ج٤، ص٢٥٦).

٣. عدم التناقض مع العقل والعلم القطعي: التوافق مع المبادئ العقلية والاكتشافات العلمية المؤكدة (مصباح اليزدي، تعليم العقائد، ص٣٠٢).

٤. القرائن والشواهد المتعددة: تأييد من شهود موثوقين ووثائق تاريخية (ابن طاووس، مهج الدعوات، ص١٥٤).

٥. شهادة الأشخاص المعتبرين: تصديق من علماء ثقات (المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٢، ص١٨٩).

فالرد على الشبهات حول الإمدادات الغيبية للإمام المهدي(عج) يتطلب منهجاً متعدد الأبعاد يشمل:

١. تحليلات فلسفية وكلامية عميقة
٢. الاستناد إلى مصادر نقليه معتبرة
٣. دراسات تجريبية وعلمية
٤. تقديم معايير دقيقة للتمييز

هذا المنهج الشامل يمكنه الرد على الشبهات ويسهم في فهم أعمق لمسألة المهدوية.

الخاتمة:ـ

توصلت هذه الدراسة من خلال التحليل الشامل للأبعاد الفلسفية والكلامية والتجريبية إلى النتائج التالية:

١. الإمكانية الفلسفية: وفقاً لنظام الحكمة المتعالية، فإن إمدادات الإمام المهدي(عج) في عصر الغيبة ليست ممكنة فحسب، بل ضرورية. تشرح نظرية الفيض الوجودي والحركة الجوهرية بكفاءة كيف يلعب الإمام دور "العلة الغائية" في سلسلة الوجود، محافظاً على دوره التدبيري (صدر الدين الشيرازي، الأسفار الأربعة، ج٩، ص٢٩١).

٢. آليات الإمداد: حدد البحث ثلاث آليات رئيسية:

- التأثير الوجودي المباشر على النفوس المستعدة
- الإمدادات غير المباشرة عبر وسائط مادية ومعنوية
- الهدايات الخاصة في الأوقات الحرجة

٣. الشواهد التاريخية والمعاصرة: يظهر تحليل الحالات الموثقة في المصادر المعتبرة

والتجارب المعاصرة المسجلة أن الإمدادات الغيبية تتجلى بأشكال متعددة (المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٢، ص١٦٠-١٦٥).

وبالتالي، فإن مسألة الإمدادات الغيبية للإمام المهدي(عج) ليست مجرد عقيدة كلامية، بل هي نظرية فلسفية رصينة مدعومة بأدلة عقلية ونقلية. مع ذلك، فإن الاستفادة من هذه الإمدادات تتطلب شروطاً مثل المعرفة العميقة والعمل الصالح وانتظار الفرج الحقيقي. في الوقت نفسه، يجب تجنب أي تفسير خرافي أو غير عقلاني لهذه الظاهرة.

يفتح هذا البحث آفاقاً لدراسات أعمق في مجال العلاقة بين نظام الإمامة والقوانين الطبيعية للكون. ويبدو أن الجمع بين المناهج الفلسفية والكلامية والتجريبية يمكن أن يمهّد الطريق لاكتشافات جديدة في هذا المجال.

قائمة المصادر والمراجع

- إن خير مانبتديء به القرآن الكريم.

١. البحراني، ابن ميثم (١٣٦٢هـ.ش)، شرح نهج البلاغة (ج١)، قم: انتشارات دفتر تبليغات اسلامي.

٢. الحر العاملي، محمد بن الحسن (١٤٠٩ق)، وسائل الشيعة (ج٢٧)، قم: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الأولى.

٣. الحسيني الطهراني، محمد حسين (١٤١٨ق)، حياة الشيخ الأنصاري (ج٢)، مشهد: نشر علامه طباطبايي.

٤. الخوانساري، محمد باقر (١٣٩٠ق)، روضات الجنات (ج٢)، قم: مؤسسة اسماعيليان.

٥. الشيرازي، صدر الدين (ملاصدرا) (١٣٨٠هـ.ش)، شرح أصول الكافي (ج٤)، تهران: انتشارات بنياد حكمت اسلامي صدرا، چاپ سوم.

٦. الشيرازي، صدر الدين (ملاصدرا) (١٣٨٣هـ.ش)، الحكمة المتعالية في الأسفار الأربعة (ج٩)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية.

٧. الطباطبائي، محمد حسين (علامه طباطبايي) (١٣٩٣هـ.ش)، الميزان في تفسير القرآن (ج١٥)، قم: دفتر انتشارات اسلامي، چاپ پنجم،

٨. الطوسي، محمد بن الحسن (شيخ طوسي) (١٣٩٨ق)، الغيبة، قم: مؤسسة المعارف الإسلامية، الطبعة الأولى.

٩. الكُليني، محمد بن يعقوب (١٤٠٧ق)، الكافي (ج١)، تهران: دار الكتب الإسلامية، الطبعة الرابعة.

١٠. المجلسي، محمد باقر (علامه مجلسي) (١٤٠٣ق)، بحار الأنوار (ج٢٣، ج٥٢، ج٩٤)، بيروت: مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية.

١١. المفيد، محمد بن محمد (شيخ مفيد) (١٤١٣ق)، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، قم: كنگره شيخ مفيد، الطبعة الأولى.

١٢. النعماني، محمد بن ابراهيم (١٤٢٢ق)، الغيبة، تهران: نشر صدوق، الطبعة الأولى.

١٣. جوادي آملي، عبدالله (١٣٨٩هـ.ش)، الإمامة والمهدوية (ج٢، ج٣)، قم: نشر إسراء، چاپ دوم.

١٤. حسن زاده آملي، حسن (١٣٨٥هـ.ش)، درر الفوائد، قم: انتشارات الف لام ميم، چاپ سوم.

١٥. مصباح يزدي، محمد تقي (١٣٧٨هـ.ش)، آموزش عقائد، تهران: سازمان تبليغات اسلامي، چاپ چهارم.

١٦. مطهري، مرتضي (١٣٧٧هـ.ش)، مجموعة الآثار (ج٤)، تهران: انتشارات صدرا، چاپ پنجم.

17. Hume, David (1748), An Enquiry Concerning Human Understanding, London: A. Millar, 1st Edition.

18. Plantinga, Alvin (2000), Warranted Christian Belief, New York: Oxford University Press, 1st Edition.